سلسلة الثقافة الاسلامية

(١٤)

الفئات المعارضة لخروج الحسين عليه السلام

دراسة وتحليل

الاصدار الثاني

محمّد مهدي الآصفي

بسم الله الرحمن الرحيم

مختارات منتقاة من محاضرات ومؤلفات

الشيخ محمد مهدي الآصفي حفظه الله

اسم الكتاب: ....الفئات المعارضة لخروج الحسين عليه السلام

المؤلف: .... محمّد مهدي الآصفي

الطبعة الأولى: .... ١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩م

المطبعة:................... مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

آفاق الثورة الحسينية:

سيرة الحسين عليه السلام من الحجاز إلى العراق وشهادته وشهادة الكوكبة التي حفت به، في الحركة إلى لقاء الله، من أهل بيته وأصحابه ... سيرة غنية بالأفكار والمفاهيم، وتتصل هذه الأفكار والمفاهيم في الغالب بحياتنا اليومية، في حقول السياسة والثقافة والعلاقات الاجتماعية.

ولذلك فهي تستحق الكثير من التوقف والتأمل والدراسة، ورغم الدراسات الكثيرة لـ(عاشوراء) فلا يزال هذا الحدث العظيم يكتنز الكثير من المفاهيم والأفكار والقيم، ويجد الباحث في(عاشوراء) أمامه آفاقاً ورؤى جديدة لم يكتشفها الباحثون والمنظرون إلى هذا اليوم.

ونحن هنا نحاول أن نلقي نظرة على الجماعات المعارضة لخروج الحسين عليه السلام من الحجاز إلى العراق

لإعلان الخروج والثورة على حكومة بني أمية.

تصنيف الناس تجاه الثورة الحسينية:

بإمكاننا أن نصنف الناس من حيث موقعهم من الحسين عليه السلام في عاشوراء إلى خمسة أصناف.

١ـ أهل بيت الحسين عليه السلام وأصحابه الذين صحبوه إلى لقاء الله، وهم القمة الشامخة التي يعرفها التاريخ من التسامي والتعالي على الدنيا والتضحية والإيثار والعطاء والصمود والقيم والإخلاص.

٢ـ الفئات المعارضة التي كانت تعارض خروج الإمام إلى العراق للخروج على حكومة بني أمية، إشفاقاً على الإمام عليه السلام حيناً، وتظاهراً بالإشفاق حيناً آخر.

٣ـ المتفرجون، وهم الكثرة الكاثرة من الأمة يومئذ. وقد علموا أن الحسين عليه السلام خرج على طاغية عصره، للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعرفوا ما يقترفه بنو أمية من الإثم والعدوان في هذه الأمة والتبذير والبذخ في بيت المال والإفساد في الساحة، ولكنهم

آثروا العافية ووقفوا موقف المتفرج ينتظرون نهاية هذا المشهد الأليم (إنا ها هنا قاعدون).

٤ـ القتلة الذين اقترفت أياديهم قتال ابن رسول الله والكوكبة الطاهرة التي رافقته إلى الله، وإذا كانت الفئة الأولى قمة في التوحيد والإخلاص والقيم والخلق والصمود والعطاء والوعي.... نجد إن هذه الفئة في حضيض السقوط والشقاء والبؤس.

٥ـ الفئة الخامسة هي التي لم تشارك في القتال، ولكنها أعلنت عن رضاها ودعمها وإسنادها للقتلة، وتنكرت لخروج السبط الشهيد على حكومة بني أمية.

وكل واحدة من هذه الفئات الخمسة تحتاج إلى دراسة دقيقة وتوقف وتأمل طويلين... ولا تقل حاجتنا إلى دراسة الفئات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة عن حاجتنا إلى دراسة الفئة الأولى. فان هذه الدراسة بإبعادها الخمسة لصيقة الصلة بحياتنا السياسية والثقافية والاجتماعية... وفيما يلي نتوقف ونتأمل في دراسة الجماعات المعارضة لخروج الحسين عليه السلام من الحجاز إلى العراق.

١. تصنيف المعارضة

دراسة الساحة المعارضة لخروج الحسين عليه السلام والمثبطين والمعارضين تعكس لنا صورة دقيقة عن الأوساط المعارضة للعمل الإسلامي والحركة والثورة الإسلامية في الساحة الإسلامية المعاصرة.

إن التثبيط نفس التثبيط، والمعارضة نفسها، وعوامل ومصادر المعارضة للثورة نفسها.

يريد الحسين عليه السلام الخروج على طاغوت عصره فيواجه مساحة واسعة من المعارضة، كما تواجه القيادات الإسلامية للثورة الإسلامية نفسها هذه المعارضة عند أي تحرك سياسي.

وأسباب هذه المعارضة وعواملها في الساحة السياسية يومذاك ثلاثة:

١ـ الحسد والضغينة.

٢ـ الضعف والجبن والتخاذل.

٣ـ الجهل وفقدان الوعي السياسي.

وسوف نذكر أمثلة على هذه العوامل الثلاثة.

العامل الأول للمعارضة: العداء والحسد والحقد.

من ابرز مصاديق هذه الحالة عمرو بن سعيد الأشدق عامل بني أمية على مكة، كتب إلى الحسين عليه السلام عندما علم بخروجه عليه السلام إلى العراق، يطلب منه أن يعدل عن الخروج ويعده بالأمان إذا عدل عن الخروج.

وعلى هذه الرسالة مسحة خفيفة من النصيحة الكاذبة، كما تستبطن الكثير من المكر والكيد والخبث والحقد.

وقد قرأ الحسين عليه السلام هذه الرسالة وردّها بأدب وصرامة وقوة كعادته عليه السلام في مواجهة أمثال هذه الحالات.

وإليك الرسالة وردّها:

يقول عمرو بن سعيد الأشدق في رسالته للإمام الحسين عليه السلام :

(إني أسأل الله أن يلهمك رشدك، وأن يعرّفك عما يُراد بك، بلغني إنك قد عزمت على الشخوص إلى العراق، فإني أعيذك بالله من الشقاق، فإن كنت خائفاً فاقبل إليّ فلك عندي الأمان والصلة).

فكتب إليه الحسين عليه السلام :

(أما بعد، فانه لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى الله عزّوجلّ وعمل صالحاً، وقال إنني من المسلمين. وقد دعوت إلى الأمان والبر والصلة فخير الأمان أمان الله عز وجل، ولم يؤمّن الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا، فنسأل الله مخافة في الدنيا توجب لنا أمانة يوم القيامة.

فان كنت نويت بالكتاب صلتي وبريّ فجزيت

في الدنيا والآخرة والسلام)[1]

والذي يستعرض موقف عمرو بن سعيد الأشدق لا يشك أن الأشدق كان يدبّر للحسين عليه السلام مؤامرة يستعيد فيها الحسين عليه السلام إلى مكّة ثم يغتال الحسين عليه السلام في الحرم، حيث لا يستطيع الحسين عليه السلام أن يقاتل بني أمية.

والحسين عليه السلام لا يريد أن يقتل في الحرم مكتوف اليدين.

ولا نحتاج إلى تأمل طويل لنعرف أن أسلوب الحسين عليه السلام في الخروج من المدينة إلى مكة على الطريق العام (الجادة الرئيسية بين مكة والمدينة) ثم مقامه في مكة بدار العباس بن عبد المطلب، ثم إعلانه

١ـ وقعة الطف المستخرجة من تاريخ الطبري تحقيق الشيخ هادي اليوسفي: ١٥٥ ط. مؤسسة النشر الإسلامي. وبلفظ قريب منه تاريخ ابن عساكر ١٣: ٧٠.

للمغادرة إلى العراق، كان بهدف التعبير والإعلان عن رفضه للبيعة، ولو كان الإمام يريد أن يتجنب البيعة فقط، دون تنبيه وإلفات الرأي العام الإسلامي لهذا الموقف السياسي لما احتاج إلى كل هذه الخطوات التي كلفتّه وكلفّت أهل بيته وأصحابه كثيراً، وأثارت عليه سخط بني أمية وغضبهم، وكان بوسعِه أن يعتزل بني أمية في صقع من أصقاع الأرض، من دون هذا الإعلان والإشهار.

وقد اتفقت المصادر التاريخية أن الحسين عليه السلام خرج من مكة إلى العراق يوم الثامن من ذي الحجة (يوم التروية)، عندما كان الحجاج يتوجهون إلى عرفات، استعداداً ليوم عرفة، وقد أثار خروج ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم التروية ـ من بين الحجاج ـ إلى العراق انتباه عامّة الحجاج الذين كانوا قد أمّوا البيت الحرام من مختلف الآفاق. فهذا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحلّ من العمرة ويغادر مكة في وقت يتوجه

فيه الحجاج إلى عرفات لأداء الحج[1].

العامل الثاني للمعارضة: الضعف عن القرار الصعب.

وهو من أقوى عوامل التثبيط. ونضرب مثلا لذلك بموقف عبد الله بن عمر من المعارضة.

ونحن لا نستطيع أن نتهم عبد الله بالمكر بالحسين عليه السلام ولكن نجد في موقفه من معارضة حركة الحسين عليه السلام علامة ضعف واضحة.

فقد كان عبد الله شخصية ضعيفة، وضعفه جرّ عليه كثيراً من الابتلاءات فقد امتنع أولاً عندما رشّح معاوية ابنه يزيد لولاية العهد عن البيعة وقال: إنه لا يبايع لأميرين في وقت واحد[2].

وهو جواب ضعيف وموقفه أضعف منه فإن معاوية

١ـ في رحاب عاشوراء: ٣٥٦ ـ ٣٥٧.

٢ـ فتح الباري: ١٣: ٦٠.

لم يطلب منه أن يبايع يزيد أميراً ليصح منه هـذا العـذر وإنما طلب منه أن يبايعه ولياً للعهد.

ولم يكن عبد الله ليملك القوة والجرأة الكافية التـي تمكّنه من اتخاذ موقف جريء تجاه البيعـة ليزيـد فقـد كان أمر يزيد في الفسق والشرب أشهر مـن أن يخفـى على أحد، وقد كان أولى بابن عمر أن يردّ معاوية عـن هذا الأمر، ويعلن امتناعه عن البيعة ليزيد لما يعرفه فيـه هو وعامّة المسلمين من فسوق وفجور.

إلاّ أن ابــن عمــر لــم يكــن يملــك هــذه الجــرأة والشجاعة، ولم يكن يريد أن يسرع في البيعة قبل غيره من المسلمين، فاعتذر لمعاوية بهذا الجواب الضـعيف. فأرسل إليه معاوية بمائة ألـف درهـم، فأخـذها، فـدسّ إليه رجلاً فقال له: ما يمنعـك أن تبـايع؟ فقـال: إن ذاك لذاك (يعني أن ذلك المال لأجل البيعـة) إن دينـي إذن

لرخيص[1].

ولـم يـروِ لنـا التـاريخ أنـه ردّ المـال أو أنكـر علـى معاوية هذا الأسلوب الملتـوي المـاكر فـي اخـذ البيعـة ليزيد[2].

كما أن موقفه من الحسين عليه السلام فيه غطـاء رقيـق مـن النصح ولكن فيه أيضاً إيهـام بـأن خـروج الحسـين عليه السلام خروج عمّـا دخـل فيـه المسـلمون ،وفيـه دعـم وتأييـد لسلطان يزيد. وقد استدرج هذا الموقـف عبـد الله إلـى دعم وتأييد يزيـد بصـورة تدريجيـة، وأدى ذلـك إلـى استحداث مذهب سياسي فقهي ابتدعه عبد الله ودخـل هذا المذهب من خلال رواياتـه فـي الثقافـة الإسـلامية وهـذا المـذهب هـو مهادنـة الظـالم والسـكوت عنـه وتحريم الخروج عليه.

١ـ المصدر السابق.

٢ـ وارث الأنبياء: ١٥٣ ـ ١٥٤ .

فإن المعروف عن عبد الله بن عمر انه كان يرى وجوب الانقياد للحاكم، مهما كان ظلمه، ومهما بلغ جوره، واعتداؤه على المسلمين، وإعلانه للفسق والفجور، ويرى وجوب الاستمرار في الطاعة، وحرمة خلع اليد من الطاعة، وكان يسعى برأيه هذا فيما بين الناس ويروّض الناس لطاعة الخليفة الفاسق يزيد بن معاوية قبل وبعد وقعة الحرّة التي انتهك فيها يزيد بن معاوية حرمات الإسلام والمسلمين، وبالغ في سفك الدماء وانتهاك الحرمات... فاستمع إلى الحديث التالي:

روى مسلم عن أبي رافع عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من نبيّ بعثه الله في أمة قبلي إلاّ كان في أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنّته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلّف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن**

جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبّة خردل».

قال أبو رافع: فحدّثت عبد الله بن عمر فأنكره عليّ، فقدم ابن مسعود فنزل بقناة، فاستتبعني إليه عبد الله بن عمر يعوده، فانطلقت معه فلمّا جلسنا سألت ابن مسعود عن هذا الحديث فحدّثنيه، كما حدثت ابن عمر[1].

إن من حقنا أن نسمح لأنفسنا بالشك في موقف عبد الله بن عمر من شرعية الخروج والمعارضة السياسية والمسلحة للحكام الظلمة، وفي موقفه الاستسلامي من قبل من البيعة ليزيد بعد وفاة معاوية من دون اعتراض أو تردد، وفي موقفه الضعيف الأول من قبول هدية معاوية والاعتذار إليه بأنه لا يريد أن

١ـ صحيح مسلم ١: ٥٠ ـ ٥١، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان . ط. دار الفكر ـ بيروت ـ.

يبايع لأميرين في وقت واحد.

وإن من حقّنا أن نحتمل أن معاوية قد استطاع أن يستغل ضعف عبد الله وسذاجته أسوأ استغلال، وأن يلين عوده للبيعة ليزيد ويروّضه على ذلك بأساليبه الماكرة الملتوية المعروفة، والتي لم تخف حتى على عبد الله بن عمر نفسه، بما عرف من بساطة وسذاجة، حتى قال لرسول معاوية: (إن ذاك لذاك، إن ديني عندي إذن لرخيص)[1].

العامل الثالث للمعارضة: عدم وعي أهداف الثورة

لقد كان البعض يتصور أن الإمام الحسين عليه السلام خرج على يزيد لينتزع منه الحكم والسلطان، وليتولاه بنفسه.

فهو حقه، وليس ليزيد حق فيه. لاشك في ذلك.

وهذه كانت وجهة نظر الإمام عليه السلام عندما خرج من

١ـ وارث الأنبياء : ١٥٦.

الحجاز إلى العراق، تلبية لدعوات شيعته له، إلى الخروج على يزيد.

وكان هؤلاء يعرفون جيدا أن أهل العراق لا يفون للحسين عليه السلام بعهودهم، وسوف يتخلّون عنه، إذا جدّ الجدّ، والذين يفون له عليه السلام ببيعتهم، ويقفون معه إلى الأخير قلة لا تقاوم جيوش بني أمية... إذن الإمام عليه السلام يسعى بنفسه في هذه الرحلة إلى مصرعه... وكان ذلك يحزّ في أنفسهم ويحزنهم، فيقبلون عليه، ويسألونه أن يكف عن الذهاب إلى العراق.

ولم يكن يخفى على الإمام عليه السلام ما يعرفه هؤلاء الناصحون له، الذين لم يكن الإمام يشك في صدقهم ونصحهم وحبهم.

ولا يمكن أن نتصور أن الإمام عليه السلام كان يرجو فيمن يجتمع حوله من شيعته في العراق أن يقاوم بهم جيوش الشام، فضلاً عن العراق... وقد عاش الإمام عليه السلام من قبل ظروف تخاذل الناس في العراق عن أبيه في

صفين وعن أخيه الحسن عليه السلام بعد وفاة أبيه... فماذا يمكن أن يرجو الإمام في الناس بعد هاتين التجربتين.

لقد كان الإمام يطلب في خروجه أمراً آخر، يختلف كثيراً عما كان يتصور عبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر ومحمد بن الحنفية رحمهم الله ونظراؤهم من الناصحين له.

كان الإمام يطلب في خروجه أن يهزّ ضمير الأمة بملحمة مأساوية تنتهي بمصرعه وبمصرع أهل بيته وأصحابه في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإنكار على يزيد وإدانته، فيرتاع الناس لذلك ويعودون إلى أنفسهم ورشدهم، ويحيي بذلك فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليواجه الناس بها طغاة بني أمية ويكسر حاجز الرهبة والخوف، ويسقط شرعية الخلافة الأموية في أنظار المسلمين، ويجردها عن قيمتها الشرعية التي كان الناس يعرفونها من قبل للخلفاء.

إذن لم يكن الإمام يطلب في خروجه زحفاً عسكرياً على جيش الشام وحكامها كما يصنع القادة العسكريون، ولو كان يطلب شيئاً من ذلك لكان الحق لأولئك الذين كانوا ينصحون الإمام بالامتناع عن الخروج إلى العراق.

وليس ما نقوله هنا نوع من التوجيه السياسي والثقافي لخروج الحسين عليه السلام بعد مصرعه عليه السلام الدامي في كربلاء، ومصرع أنصاره رحمهم الله، وإنما نقتبس هذا التفسير لخروجه من آخر خطاب ألقاه في الناس في مكة، عند خروجه إلى العراق حيث نعى نفسه وأهل بيته وأصحابه إلى المسلمين يومئذ.

ولا يمكن أن يقدم على هذا العمل قائد عسكري ينوي أن يخرج على طاغية عصره لينتزع منه الحكم والسلطان، ويحل محله... إن هذا الخطاب في عرف القادة العسكريين تثبيط للناس، وليس دعوة إلى الخروج على الحاكم الظالم.

ولم يكن الأمر يخفى عن الإمام عليه السلام ، ولا يمكن أن يخفى عليه مثل ذلك ولكن الإمام كان يطلب في خروجه أمراً آخر أعلنه، وصرّح به، ولم يتفقهه الناس من حوله يومذاك.

...هؤلاء طائفة ثالثة من المثبطين للحسين عليه السلام والمعارضين لخروجه.

ونحن لا نتهم هؤلاء بالعداوة ولا بالضعف، ويكفي أن فيهم عبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر، ومحمد بن الحنفية (رحمهم الله)... إلاّ أننا لا نشك أنهم لم يستوعبوا حركة الحسين عليه السلام ، وقضية معارضتهم كانت نابعة من هذه النقطة.

وفيما يلي نضرب بعض الأمثلة، ونأتي ببعض الشواهد على هذه الطائفة من الذين نصحوا الإمام عليه السلام بعدم الخروج، وعزّ عليهم أن يخرج ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى مصرعه، واليك بعض النماذج من موقف هؤلاء الناصحين:

١. المسور بن مخرمة

ذعر المسور بن مخرمة[١] حينما سمع بعزم الإمام على مغادرة الحجاز والتوجه إلى العراق فكتب إليه هذه الرسالة:

(إياك أن تغتر بكتب أهل العراق، ويقول لك ابن الزبير: الحق بهم فإنهم ناصروك، إياك أن تبرح الحرم، فإنهم ـ أي أهل العراق ـ إن كانت لهم بك حاجة فسيضربون آباط الإبل حتى يوافوك، فتخرج إليهم في قوة وعدة).

ولما قرأ الإمام رسالته أثنى عليه: وقال لرسوله:

١ـ المسور بن مخرمة بن نوفل القرشي الزهري، ولد بعد الهجرة بسنتين، وقد روى عن النبي ﷺ وكان من أهل الفضل والدين، كان مع ابن الزبير فلما كان حصار مكة أصابه حجر من حجارة المنجنيق فتوفي. جاء ذلك في الإصابة ٣: ٤٠٠ .

«استخير الله في ذلك»[1].

٢. عبد الله بن جعفر

وخاف عبد الله بن جعفر على ابن عمه حينما علم بعزمه على التوجه إلى العراق، وشق عليه ذلك، فبعث إليه بابنيه عون ومحمد، وكتب معهما هذه الرسالة:

(أما بعد، فإني أسألك الله لما انصرفت حين تقرأ كتابي هذا فإني مشفق عليك من هذا الوجه أن يكون فيه هلاكك، واستئصال أهل بيتك، إن هلكت اليوم أطفأ نور الأرض فإنك علم المهتدين ورجاء المؤمنين، فلا تعجل بالسير فإني في أثر كتابي والسلام).

وأسرع ابن جعفر وهو خائر القوى ذاهل اللب إلى عمرو بن سعيد حاكم مكة فأخذ منه كتاباً فيه أمان للحسين عليه السلام، وجاء مسرعاً إليه وكان معه يحيى بن

١ـ تاريخ ابن عساكر ١٣: ٦٩، من مصوّرات مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

سعيد بن العاص، فعرض عليه الإقامة في مكة وعدم النزوح إلى العراق فلم يستجيب الإمام له، وأخذ عبد الله يلتمس إليه ويطلب منه أن ينصرف عن نيته، فقال الإمام:

«إني رأيت رسول الله ﷺ في منامي، وأمرني بأمر لابدّ أن انتهي إليه..».

فسأله ابن جعفر عن الرؤيا، فأبى أن يحدثه بها، وقال له: «ما حدثت بها أحداً، وما أنا بمحدّث بها حتى ألقى الله عز وجل»[1]. وانصرف ابن جعفر وهو غارق بالأسى والشجون وأيقن بنزول الرزء القاصم وقد أمر إبنيه بمصاحبة خالهما الحسين عليه السلام.

٣. عبد الله بن عباس

وأسرع عبد الله بن عباس وهو حزين كئيب إلى

١ـ تاريخ الطبري ٦: ٢١٩، البداية والنهاية ٨: ١٦٣، سير أعلام النبلاء ٢: ٣٤٣.

الإمام، فقال له: (إن الناس أرجفوا بأنك سائر إلى العراق، فهل عزمت على شيء من ذلك؟).

فقال الإمام عليه السلام:

«نعم، قد أجمعت على المسير في أحد يومي هذين إلى الكوفة أريد اللحاق بابن عمي مسلم إن شاء الله تعالى».

وفزع ابن عباس فقال للإمام:

(إني أعيذك بالله من ذلك، أخبرني أتسير إلى قوم قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم، فإن كان قد فعلوا سِرْ إليهم وإن كانوا إنما دعوك وأميرهم عليهم قاهر لهم، وعمالهم تجبي بلادهم، وتأخذ خراجهم فإنما دعوك إلى الحرب، ولا آمن عليك أن يغروك، ويكذبوك، ويخذلوك، ويبيعوك، فيكونوا أشدّ الناس عليك).

ولم يخف شيء من هذه النقاط على الإمام عليه السلام، فقد كان على بصيرة من أمره فقال لابن عباس:

«**إني أستخير الله، وأنظر ماذا يكون؟**».

وأحاطت بابن عباس موجة من القلق والاضطراب، فلم يمتلك نفسه، فراجع الإمام، وقال له:

(إني أتصبّر، ولا أصبر إني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال... إن أهل العراق قوم غدر فلا تقربهم، أقم في هذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدوك ـ كما زعموا ـ فاكتب إليهم فلينفوا عاملهم وعدوهم، ثم أقدم عليهم، فإن أبيت إلاّ أن تخرج فَسِرْ إلى اليمن فإن بها حصوناً، وشعاباً وهي أرض عريضة طويلة، ولأبيك بها شيعة، وأنت عن الناس في عزلة، فتكتب إلى الناس وترسل وتبث دعاتك فإني أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحب في عافية...).

فأخبره الإمام عن تصميمه على مغادرة الحجاز إلى العراق، وأنه قد بتّ به، فقال له ابن عباس: (إن كنت سائراً فلا تسر بنسائك وصبيتك، فإني لخائف أن تقتل

كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه... لقد أقررت عين ابن الزبير بخروجك من الحجاز، وهو اليوم لا ينظر إليه أحد معك).

وفقد ابن عباس صبره، واندفع إلى الإمام بانفعال قائلاً ـ حسبما يروي المؤرخون ـ:

(والله الذي لا إله إلاّ هو لو أعلم إني إن أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع علينا الناس أطعتني فأقمت لفعلت) ولم يخف على الإمام كل ما قاله ابن عباس، ولم يكن يخفى على الإمام نصحه وصدقه في النصيحة، إلاّ أن الإمام كان قد عزم على الخروج للدفاع عن حمى الإسلام.

وخرج ابن عباس وهو يتعثر في خطاه، قد نخر الحزن قلبه فاتجه نحو ابن الزبير فقال له:

(لقد قرّت عينك يا ابن الزبير، ثم أنشد:

يا لك من قنبرة بمعمر خلا   لك الجو فبيضي واصفري

ونقـــري مـــا شــــئت أن تنقـــري

هــذا الحســين يخــرج إلــى العــراق ويخليــك والحجاز...)[1].

إن الإمام لو كان يروم الملك والسلطان لاستجاب لرأي ابن عباس ولكنه عليه السلام كان يبتغي أمراً آخر غير ما يفهمه ابن عمه وكان يعلم أن ذلك لا يتحقق إلاّ من خلال تضحية مأساوية فهي وحدها التي تحقق ما يصبو إليه.

٤. أبو بكر المخزومي

وهرع أبو بكر بن عبد الرحمن المخزومي[2] إلى

١ـ تاريخ ابن الأثير ٣: ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

٢ـ أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث المخزومي القرشي أحد الفقهاء السبعة، ولد في خلافة عمر، وكان يقال له راهب قريش لكثرة صلاته، وكان مكفوفاً، وهو من سادات قريش توفي سنة (٩٥ هـ). جاء ذلك في تهذيب التهذيب: ٢: ٣٠.

الإمام فقال لـه: (إن الرحم يظـأرني[1] عليـك ولا أدري كيف أنا في النصيحة؟ كان أبوك أشدّ بأساً، والناس له أرجى، ومنه أسـمع، وعليـه أجمـع فسـار إلـى معاويـة، والناس مجتمعون عليه إلاّ أهل الشام ـ وهـو أعـزّ منـه ـ فخذلوه، وتثـاقلوا عنـه، حرصـاً علـى الـدنيا، وضـناً بهـا فجرعوه الغيظ، وخالفوه حتى صـار إلـى مـا صـار إليـه من كرامة الله ورضوانه... ثم صنعوا بأخيك بعد أبيك ما صنعوا ـ وقد شهدت ذلك كله ورأيته ـ ثـم أنـت تسـير إلى الذين عدوا علـى أبيـك وأخيـك تقاتـل بهـم أهـل الشام وأهـل العـراق، ومـن هـو أعـدى منـك، وأقـوى، والناس منـه أخـوف، ولـه أرجـى، فلـو بلغهـم مسـيرك إليهم لاستطعموا النـاس بـالأموال ـ وهـم عبيـد الـدنيا ـ فيقاتلك من قد وعدك أن ينصرك، ويخذلك مـن أنـت أحبّ إليه من ينصره، فاذكر الله في نفسك...).

١ـ يظأرني: أي يدفعني عليك العطف والحنو .

وشكر له الإمام نصيحته وحبه، وعرفه أنه مصمم على ما عزم عليه، ويئس أبو بكر فانطلق وهو يقول:

(عند الله نحتسب أبا عبد الله).

وأقبل أبو بكر على والي مكة وهو يقول:

كم ترى ناصحاً يقول فيعصى وظنين المغيب يلقى نصيحا

فقال له:

(ما ذاك يا أبا بكر؟

فأخبره بما قال للحسين عليه السلام: فقال له: نصحت له وربّ الكعبة)[1].

٥. عبد الله بن جعدة

وأشفق عبد الله بن جعدة بن هبيرة على الإمام فألحق به ولده عون وبعث إليه رسالة يسأله فيها الرجوع، ويذكر فيه تخوفه في مسيره إلى العراق، فلم

١ـ مروج الذهب ٣: ٦، الطبري ٦: ٢١٦.

يستجب الإمام له، وقال له خيراً[1].

٦. جابر بن عبد الله

وخفَّ جابر بن عبد الله الأنصاري رحمه الله إلى الإمام وطلب منه أن لا يخرج فأبى عليه السلام[2].

٧. عبد الله بن مطيع

والتقى الإمام بعبد الله بن مطيع، وكان في طريقه إلى العراق، وعرف عبد الله قصد الإمام عليه السلام فقال له:

(يا ابن رسول الله أذكرك الله في حرمة الإسلام أن تنتهك، أنشدك الله في حرمة قريش وذمة العرب، والله لئن طلبت ما في يد بني أمية ليقتلوك، ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحداً أبداً... والله أنها لحرمة الإسلام وحرمة قريش وحرمة العرب. فالله الله لا تفعل، ولا

١ـ أنساب الأشراف: ق١ ج ١.

٢ـ تاريخ الإسلام للذهبي ١: ٣٤٢.

تأت الكوفة، ولا تعرض نفسك لبني أمية)[1].

٨ـ محمد بن الحنفية

وكان محمد بن الحنفية في المدينة، فلما علم بعزم أخيه على الخروج إلى العراق توجه إلى مكة[2]، وقد وصل إليها في الليلة التي أراد الخروج في صبيحتها إلى العراق، وقصده فور وصوله فبادره قائلاً:

(يا أخي، إن أهل الكوفة قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن يكون حالك حال من مضى، فإن أردت أن تقيم في الحرم فإنك أعزّ من بالحرم، وأمنعهم).

وشكر له الإمام نصحه وقال له:

«**خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية، فأكون**

١ـ وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل: ١٨٩، وحياة الإمام الحسن عليه السلام للقرشي: ٢٩ ـ٣٠.

٢ـ تاريخ الإسلام للذهبي ١: ٣٤٢.

الذي تستباح به حرمة هذا البيت».

فقال محمد: (فإن خفت ذلك فسر إلى اليمن أو بعض نواحي البر فإنك أمنع الناس به، ولا يقدر عليك أحد).

قال الحسين عليه السلام: «**أنظر فيما قلت**»[1].

ولما كان وقت السحر بلغه شخوصه إلى العراق وكان يتوضّأ فبكى حتى سمع وقع دموعه في الطست[2] وأسرع محمد إلى أخيه، فأخذ بزمام ناقته، وقال له:

(يا أخي ألم تعدني فيما سألتك؟).

«**بلى، ولكن أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما**

١ـ الدر المسلوك ١: ١٠٩، وقريب من هذا الحديث ما جرى بين الإمام وأخيه حينما كان في المدينة.

٢ـ أنساب الأشراف: ق١ ج١، وفي الصواعق المحرقة: ١٧٠: أنه بكى حتى ملأ الطست من دموعه.

فارقتك، وقال لي: يا حسين، اخرج فإن الله شاء أن يراك قتيلاً».

وذعر محمد، وسرت الرعدة بأوصاله، ودموعه تنحدر على خديه وهو يقول:

(فما معنى حمل هؤلاء النساء والأطفال، وأنت خارج على مثل هذا الحال).

فأجابه الإمام بعزم وطمأنينة قائلاً:

«**قد شاء الله أن يراهن سبايا**»[1].

١ـ الدر المسلوك ١: ١٠٩ .

٩. السيدة أم سلمة (ام المؤمنين)

وفزعت أم المؤمنين السيدة أم سلمة حينما علمت أن الإمام عليه السلام قد عزم على الخروج إلى العراق، وكان في ذلك الوقت في المدينة قبل أن يتوجه إلى مكة فهرعت إليه قائلة بصوت حزين النبرات:

(يا بني لا تُحْزنّي بخروجك إلى العراق فإني سمعت جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: **يقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يقال لها: كربلاء،** وعندي تربتك في قارورة دفعها إليّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم).

فأجابها الإمام بعزم ورباطة جأش قائلاً:

«**يا أماه، وأنا أعلم إني مقتول مذبوح ظلماً وعدواناً، وقد شاء عزّوجلّ أن يرى حرمي ورهطي مشردين، وأطفالي مذبوحين، مأسورين**».

هذه ثلاثة عوامل ومصادر للمعارضة: (المكر)، و(الضعف)، و(العجز في الوعي).

وقد ساهمت هذه العوامل الثلاثة في تكوين المعارضة الشديدة التي واجهها الإمام الحسين عليه السلام عند

الخروج من الحجاز إلى العراق.

صنفان من الناس مع الحسين عليه السلام

وإلى جانب هذه الأصناف الثلاثة التي شكلت الجبهة المعارضة لحركة الحسين عليه السلام رحل مع الحسين عليه السلام صنفان من الناس:

الصنف الأول: نخبة من المؤمنين وعوا قضية الحسين عليه السلام وانقادوا واستسلموا له، وخرجوا معه عليه السلام من غير نقاش، ولا ترديد، ولا تشكيك، ولا اعتذار، وهم النخبة الصالحة التي ثبتت مع الحسين عليه السلام إلى الأخير وقد غيّروا بهذا الوعي والعطاء والصمود النادر مجرى التاريخ.

والصنف الثاني: وهم طائفة من الناس حسبوا أن الحسين عليه السلام غير جاد فيما يقول من أمر الاستشهاد والموت، ويسعى إلى تحصيل الحكم والسلطان.

فلما جدّ الجد ووجدوا أن الحسين عليه السلام جاد فيما يقول تركوه وتخلوا عنه.

فلم يبق معه غير العصبة المؤمنة التي لزمته إلى آخر رمق من حياتها سلام الله عليهم.

٢. رأي المعارضة في خروج الحسين عليه السلام

ونقصد بالمعارضة الطائفة الثالثة التي وصفناها بالنصح والصدق.

أما الطائفة الأولى والثانية فلا رأي لهما لندرس رأيهما، فقد كان منطلق الفئة الأولى في معارضة خروج الحسين عليه السلام العداوة والحقد والمكر بالحسين عليه السلام ، وليس لهم رأي لنناقشه.

وكان منطلق الفئة الثانية الصمت والجبن والخوف من الدخول في مواجهة مسلحة ضد دولة بني أمية، ولم يكن لهم من رأي لنناقشه.

وأما الطائفة الثالثة، فقد كان لهم رأي في النصح للحسين عليه السلام والصدق في النصيحة.

وعليه سوف ندرس رأي هذه الفئة من المعارضة، ونناقشها وننظر في رأي الحسين عليه السلام في نصيحة هذه الفئة من الصحابة والتابعين رحمهم الله الذين كانوا

يصرون على الحسين عليه السلام أن يتراجع عن مقصده إلى العراق.

هذه الطائفة تضمّ وجوه الصحابة والتابعين مثل ابن عباس وعبد الله بن جعفر ومحمد بن الحنفية، وهؤلاء كانوا يرون أن الحسين عليه السلام لا محالة يقصد احد أمرين لا ثالث لهما:

١ـ إما أن يريد الخروج والثورة على سلطان بني أمية.

٢ـ أو يريد الهروب والتخلص من البيعة.

ولا يتصوّر هؤلاء تفسيراً ثالثاً لخروج الحسين عليه السلام إلى العراق غير هذين التفسيرين.

وخروج الحسين عليه السلام لا يصح على كل من هذين التفسيرين.

أما على التفسير الأول، فان شيعة الحسين عليه السلام في العراق لا يقاومون سلطان بني أمية وجيوشهم، وسرعان ما ينفرطون عنه، ويتخاذلون عن القتال معه،

كما تخاذلوا عن أبيه وأخيه من قبل.... وهذه النتيجة المتوقعة تدعمها شواهد وقرائن كثيرة هذا عن الأمر الأول.

وأما إذا كان الحسين عليه السلام يغادر الحجاز إلى العراق ليحتمي بأهله في التخلص من بيعة يزيد فإن العراق أرض مكشوفة لبني أمية، ولا يصلح لإيواء الحسين عليه السلام وحمايته ولا يصلح أهله للدفاع عن الحسين عليه السلام وحمايته.

ولو كان الحسين عليه السلام يطلب التخلص من مبايعة يزيد، فإن اليمن أصلح لأنها أرض جبلية ونائية وبعيدة عن مركز سلطان بني أمية وللحسين عليه السلام فيها شيعة أما العراق فلا يصلح لهذه المهمة كما قال له عبد الله بن عباس ذلك صراحة.

(فإن أبيت إلاّ أن تخرج فسر إلى اليمن فإن بها حصوناً وشعاباً وهي أرض عريضة طويلة، ولأبيك بها

شيعة، وأنت عن الناس في عزلة)[1].

ولم يكن يغيب عن الإمام الحسين عليه السلام ما كان يراه، ويذكره به الكثير من شيعته والناصحين والمحبين له، ممن كان الإمام لا يتهمهم في النصح والصدق وفهمهم لساحة العراق.

وإذا كان العراق لا يصلح لهذا ولا ذاك فلا محالة فإن الحسين عليه السلام لا يحقق كلا من الهدفين في العراق (إسقاط يزيد أو التهرب من بيعته).

وبالنتيجة، فإن الحسين عليه السلام يلقى مصرعه في العراق على يد بني أمية على كل حال، وبمصرع الحسين عليه السلام تسقط وتنتهك حرمة عظيمة من حرمات الإسلام على يد بني أمية ويُجَرّأ ذلك بني أمية على انتهاك سائر حرمات الإسلام ولا يبقى أحد بعد الحسين عليه السلام تحترمه بنو أمية، وقد صرح بذلك للحسين عليه السلام عبد الله

١ـ الكامل لابن الأثير ٤: ٣٨ ـ ٣٩، دار صادر ـ بيروت ـ ١٩٦٥.

بن مطيع العدوي الذي التقى الإمام في الطريق إلى العراق على ماء من مياه العرب، فقال للإمام:

(بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله ما أقدمك؟ فقال له الحسين عليه السلام : **كتب إليّ أهل العراق يدعونني إلى أنفسهم**). فقال له عبد الله بن مطيع: (أذكرك الله يا ابن رسول الله وحرمة الإسلام أن تنتهك... فوالله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلنك ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحداً أبداً)[1].

هذه خلاصة آراء الفئة الثالثة التي تميزت بالنصح للحسين عليه السلام .

١ـ الطبري ٧: ٢٩٠. وكذلك بحار الأنوار ٤٤: ٣٧١.

٣. رأي الحسين عليه السلام في الخروج

أما الحسين عليه السلام فكان يرى أمامه خياراً ثالثاً لا هو بالخيار الأول ولا هو بالخيار الثاني، ولم يكن أولئك الناصحون للحسين عليه السلام يعون هذا الخيار.

ويتلخص الرأي الذي كان يراه الحسين عليه السلام على ما نظن في النقاط التالية:

١ـ إن البقاء في الحرم المكي كما كان يقول له ابن الزبير وعمرو بن سعيد الأشدق غير صحيح إطلاقاً، فإن بني أمية يخططون لاغتياله عليه السلام في الحرم وهو لا يريد أن يقاتلهم في الحرم، وبذلك يتعرض للقتل والعدوان من قبل بني أمية وهو مكتوف اليدين وبمصرعه تنتهك حرمة الحرم.

ولذلك قال لابن الزبير:

«**إن أبي حدّثني: أن بمكة كبشاً به تستحلّ حرمتها فما أحب أن أكون ذلك الكبش ولئن**

أقتل خارجاً عنها بشبر أحبّ إليّ أن أقتل فيها. والله لو كنت في ثقب هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا فيّ حاجتهم، والله ليعتدن عليّ كما اعتدت اليهود في السبت»[1].

٢ـ ولا يمكن أن يغادر الإمامعليه السلام الحجاز إلى اليمن ليحتمي بجبالها الصعبة عن البيعة ليزيد، فلم يكن هم الحسينعليه السلام أن يمتنع عن البيعة ليزيد فقط، لو كان يطلب الامتناع عن بيعة يزيد فقط لوسعه ذلك بأهون مما حصل لهعليه السلام ، وإنما كان يريد أن يعلن للمسلمين يومئذ رفضه للبيعة...

ومن يتابع مغادرة الإمامعليه السلام المدينة إلى مكة على الطريق الأعظم، ومقامه في مكة، في دار العباس بن عبد المطلب، والإعلان عن الخروج إلى العراق، واستنصار الناس في مسيره إلى العراق، يعرف جيداً أن

١ـ مقتل الحسينعليه السلام للمقرم: ١٦٦ .

هم الحسين عليه السلام في هذه الرحلة، لم يكن الهروب من البيعة، ولو كان ذلك لتغاضى عنه بنو أمية وتغافلوا عنه، وإنما كان الإمام يريد أن يعلن رفضه للبيعة أعلاناً عاماً، والى ذلك يشير الإمام عليه السلام في كلمته المعروفة (**والله لا أعطيكم يدي أعطاء الذليل وإلا أفرّ فرار العبيد**). ويقصد بالأول البيعة ليزيد(والله لا أعطيهم يدي) ويقصد عليه السلام بالثاني أن يغيّب وجهه عن الساحة فلا يبايع، ولا يعلن الرفض والخروج... والى ذلك يشير عليه السلام بقوله(ولا أفرّ فرار العبيد)... وعليه فلا يبقى أمام الإمام عليه السلام إلاّ الخيار الثالث وهو الخروج والمقاومة وإعلان الرفض.

ولا يمكن أن يسكت عُمّال بني أمية وجلاوزتهم عن ذلك، ولا يمكن أن يتغاضوا عنه... فهم يطلبون الحسين عليه السلام أينما يذهب حتى يتمكنوا منه فيأخذون منه البيعة أو يقتلوه.

وكان الإمام عليه السلام يدرك هذا المعنى جيداً، فيقول

في جواب من يطلب منه أن يتحصن ببعض شعاب اليمن من ملاحقة بني أمية.

«**والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي فإذا فعلوا ذلك سلّط الله عليهم من يذلّهم حتى يكونوا أذلّ من فرام المرأة**».

٣ـ إذن لم يبق للحسين عليه السلام خيار إلاّ أن يقدم على التضحية بنفسه وأهل بيته وأصحابه في مواجهة مسلحة لبني أمية فيقتلونه لا محالة فإذا قتلوه كان في مصرعه سقوطاً لبني أمية، وكما قال عليه السلام : «**يكونوا أذلّ من فرام المرأة**».

وأصلح أرض للخروج على بني أمية العراق لأنه مركز العالم الإسلامي وموضع شيعته. وقد كتب إليه شيعته بذلك. وبخروجه عليه السلام يتم مصرعه لا محالة، ويكون لمصرعه عليه السلام وأهل بيته وصحبه تأثير قوي في إعادة الناس إلى أنفسهم ورشدهم ودينهم.

وكان لابدّ للناس من هزة قوية عنيفة لضمائرهم تعيد إليهم وعيهم، وإرادتهم، وقيمهم، وتشعرهم بعمق الكارثة التي حلّت بهم، وتبعث الندم في نفوسهم... وكان خروج الحسين عليه السلام ومصرعه بالصورة المفجعة التي يحدثنا بها التاريخ هو مبعث هذه الهزة العميقة في ضمائر المسلمين يومئذ.

ولقد نبّهت شهادة الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، بالطريقة المفجعة التي تمت بها، ضمائر المسلمين، وأشعرتهم بالندم، ومكنتهم من أن يستعيدوا وعيهم وإرادتهم، من جديد، فيفكروا ويقرروا مصيرهم بأنفسهم[1].

وهذا الخيار الثالث لم يدركه ابن عباس وعبد الله بن جعفر ومحمد بن الحنفية والآخرون ممن كانوا ينصحون الإمام عليه السلام بعدم الخروج.

١ـ وارث الأنبياء: ٢١٩.

ونود أن نسجل هنا ملاحظة هامة وهي أننا نحتمل أن بني أمية كانوا يعملون لمنع الحسين عليه السلام من الخروج إلى العراق وكان لهم دور غير مباشر في توجيه وتحريك هذه المعارضة، ليتقبل الحسين عليه السلام أحد الخيارين السابقين فلا يكون لموقف الحسين عليه السلام عندئذٍ خطر على سلطان بني أمية وخلافتهم في العالم الإسلامي، وكان الحسين عليه السلام واعياً للمؤامرة الأموية، ولم يمكنهم من نفسه، كما يحبون..

الفهرس